سعيد عقل

مشكلة النخبة في الشرق

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

AUB LIBRARY

American University of Beirut
University Libraries

Donated by
Constantine K. Zurayk

A.U.B. LIBRARY

مشكلة النخبة في الشرق

للمؤلف

•

بنت يفتاح	مأساة شعراً	١٩٣٥
المجدلية		١٩٣٧
قدموس	مأساة شعراً	١٩٤٤
	طبعة ثانية	١٩٤٧
رندلى		١٩٥٠

سعيد عقل

CA:AUB
305.552
AG65mA
c.2

مشكلة النخبة في الشرق

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

محاضرة ألقيت في الجامعة الاميركية ببيروت
في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٤
واستعيدت في الكتائب اللبنانية ببيروت
في ١٨ آذار ١٩٥٤

الطبعة الأولى
بيروت ٣ نيسان ١٩٥٤

منذ ولدت الكشفية وأبصرت نور الحياة ولدت معها فكرة تكوين النخبة . هـذه النخبة التي يقول فيها شاعرنا الكبير سعيـــد عقل : « ليست النخبة افراداً افذاذاً بما هم افراد افذاذ . ولا طبقة مثقفين بما هم طبقة مثقفين ، انها جسم حي ، ذو معرفة في مستوى المصائر الكبيرة ، واع ذاته ودوره في العالم . »

و« الكشاف » جرياً وراء هذه الحقيقة الساطعة وسعياً نحو رسالتها الكبرى يسرها ان تلتقي بالشاعر الكبير في نقطة واضحة المعالم وان تنطلق معه يداً بيـــد في سبيل الهدف النبيل .

ومن هنا كانت فكرة طبع هذه المحاضرة القيمة التي ألقاها الشاعر في جامعـــة بيروت الاميركية والاستعاضة بها عن عددين كاملين من اعداد « الكشاف » هما العددان ٤٣ و ٤٤ .

ووضعها بين يدى القراء تعميما للفائدة المرجوة .

و« الكشاف » بعد ذلك لفخورة بان تكون باكورة منشوراتها هـذه الدراسة القيمة لمشكلة النخبة في شرقنا العربي .

«الكشاف»

الى صديقي أحمد عسه
الذي يعرف ان يجعل طموح
بلاده في مستوى المصائر الكبيرة.

الى فيثاغورس، أحد عِلْية العقول في جميع الأزمنة، يرقى القول: « سأخاطب الحكيم فأبعدوا الجُهّال ». إذنْ منذ عهد باعدٍ في القدم، شعر سراةُ الفكر بان العامّة خطر على اصحاب التعاليم الرفيعة.

بيد ان تطوراً هاماً حصل. فبتنا اليوم وخطرُ الجُهّال على القيم الكبيرة نستغلُّه لصالح تلك القيم نشحذها عليه ونزيدها مضاء. وهكذا لم يتحفظ أينشتين في رَكْزِ كونه على نواميس تناقِض الحِسّ العام، كما لم يتكتّم نيتشه في نظرته الالحادية الى الوجود. ذلك لا لأن العامة — في اوروبا نفسها — ارتقت

كثيراً عما كانت عليه عهد الاضطهادات الدامية ، بل لان النخبة تكوَّنت. تكونت فراحت تُشكِّل حول صاحب الرأي الجديد — مُحِقًّا كان أم مخطئاً — دِرعاً يقيهِ ثورةَ الخصوم : ثورتهم على شخصه فلا يُمَسّ — وما ذلك بشيء هام — وثورتهم على افكاره ، فلا تُخنق في فمه — وهو هو الأمر الأساسيّ — بل تُوكَلُ الى المِحَكّ المختص وحده ، يُتوِّجها او ينتقي منها ما صلح او يدحضُها جميعاً ، مُمَهِّداً لعمل النسيان يأتي عليها في الغد .

لا لم تبق الخاصة في عصرنا تخشى نقمة العامة .

بشرط واحد :

ان تكون هذه الخاصة موجودة .

***

أين نحن في الشرق من تَكوُّن النخبة ؟

قد يتبادر الى الذهن ، جوابا على هذا السؤال ، أنَّ في الشرق جامعاتٍ ومؤسسات تَمَدُّن ، إذن طائفةً من الاساتذة وذوي الاختصاص ، مِمَّا يَضمن ، بالنتيجة ، وجودَ النخبة .

رأيٌ ، في نظرنا ، أَشدُّ خطراً على مصاعب الشرق من عَـدَم وجود النخبة . لانه يجعلنا نكُفُّ عن لَمِّ شتاتها أو إطلاعها من عدم .

ليست النخبة افراداً أَفذاذاً بما هم افرادٌ أَفذاذ ، ولا طَبقةَ مُثقَّفين بما هم طبقةُ مثقَّفين . انهـا جِسمٌ حيّ ، ذو معرفة وخُلُق في مستوى المصائر الكبيرة ، واعٍ ذاته ودورَهُ في العالم .

كجسم ، تتحرك النخبة وفق نواميس تموت إن

هي تركتها تهزل او تتضعضع . وكجسم حَيّ ، ما هي كالآلة تستقبل الوجود وانما كالانسان تقصد الوجود . وكذاتِ معرفة وخُلُق في مستوى المصائر الكبيرة ، لا تجهل شيئاً بلغه العقلُ في أيّةِ بقعة من بقاع الأرض ، ولا تفتقر الى شِيَمةٍ تُحلّي بها في أيّة رقعة من رقاع التمدن ، من تلك الشِيَم التي تُدَرّع الناسَ حيالَ الشرّ وإغراءات الشرّ . وكواعيةٍ ذاتَها ودورها في العالم ، لا تتصرف تلقائياً او اندفاعاً في تيّار ، وانما عن فعل إرادة وعن ادراك بانها هي المسؤولة ، في النهاية ، عن مستقبل الانسان في الارض وربما في ما وراء الأرض .

قد يكون ثمّة افراد مُتَحَلّون بهذه الصفات . ولكنّ عدَم انتمائهم ، بمثل التَجَنُّد ، الى جسم النخبة

والى ما تنتدب نفسها اليه ، يمنعُهم صِفتها ، اذ يُبقيهِم اضعفَ جوهراً وأَقلَّ فعّالية .

هل يعني هذا ان النخبة حِزب ؟

كَلاَّ وحاشى أن تكون النخبة حزبا .

الحزب ، تحديداً ، عَملٌ سياسي . اذن يتطلَّب الحُكم . والنخبة اكبرُ من تَطلُّب الحُكم واكبر من الحكم . تَسلُّم زمام الحُكم مشوب ، وإن قليلاً ، بشهوة السُلطة . والنخبة فوق الشهوة وفوق السلطة . الحكم دولابٌ من دواليب تُشرف عليها النخبة ، والنخبة المُلتفتُ الذي اليه تتحرك الدواليب . الحكمُ أُسلوبُ لتعهُّد الأمَّة او العالَم ، في صعودِهِ جِهة مصير عظيم . والنخبة هي هذا المصير العظيم .

هذا لا يعني أننا شخصياً من أعداء الاحزاب .

ولكننا نضع الامور في مواضعها . وبقيننا ان اصطراع الاحزاب هو، في بعض المراحل ، خير طريقةٍ لشفاء قوى الشعب المصابة ريثما تضجّ فيها العافية .

الفرق كبير بين الحزب والنخبة .

قد يحارب الحزب ، بلا هوادة ، حزباً آخر ، ليقوى ساعداً وينتصر ويتسلّم الحكم ؛ وقد تشجع النخبة جميع الاحزاب . الحزب ينفي سواه ؛ والنخبة تُلهم سواها .

لكمْ علينا — والحالةُ هذه — أن نرحم حزباً قوّادُه لم يتخلّوا عمّا في قرارة نفوسهم من مناقب النخبة ؟ استنكفوا عن الطعن على خصمهم ، اكتفوا بمهاجمة الشرّ فيه ، وعفّوا عن شخصه . والجماهير — زبائن الاحزاب الوحداء — لا تدكّ لك الا خصماً

رحتَ تجسّم فيه الشرّ . فإن كنتَ عادلاً واعترفتَ بناحية خير في خصمك ، من اجلها ترفَّعتَ عن مهاجمة شخصه ، بقي هـذا الخصم في الساحة وما تسلَّمتَ الحكم . وهكذا تكون ، كحزب ، خنتَ طريقةَ الوصول ؛ ولكنك ، كنخبة ، وفَيتَ للعدل . وكراسم خطط عليه ، أحياناً ، أن يعمَلَ من اجل البلوغ ، سقطْتَ ضحيةَ ما بك من تَعقُّل نُخبة عليها ، أبداً ، ان تُنصف .

ولقد أدرك الشاعر العربيّ — وغالباً ما يستبق حَدْسُ الشعراء نواميسَ الفلاسفة — حدّةَ الصراع بين المغامرة في التنفيذ والتروّي في معرفة الحق فقال :

ولا بُدَّ لي من جهلةٍ لوصالها
فَهل من صديقٍ أُودعُ العقلَ عندَهُ ؟

***

لِأَنَّ في بعض دول الشرق أَحزاباً ليس الى جنبها نخبة ، كانت مأساةَ فَلسطين .

خذ الشعب اللبناني مثلاً — وهو الشعب الوحيد الذي تهدف الصهيونيّةُ الى محوه من الوجود — من يَتولّى فيه تحضيرَ حرب الغد ضد الصهيونية ؟ حرب الأَمحاق او الحياة ؟ أَتتولاها الاحزاب ، وحدها ، بما يشوب عملَ الاحزاب — على إخلاصها مبدئياً — من مداهنة الجماهير ؟ اذن ستكون حرباً سطحية . سيدخل في مُركبّها قليلٌ من دكّ الصهيونية وكثيرٌ من جَرّ الأَصوات الى الحزب . قليل من المنهج وكثير من الغَوْغأَة .

ويكون ؟

يكون أن تتجدَّد الكارثة كل يوم !

لو أن النخبة وطيدة الوجود في لبنان ، إذن لراح لبنان ، منذ اربعين سنة ، يُعِدُّ لمواجهة الخطر . ذلك ان الصهيونية ، منذ أن تأسست ، انطوت طبيعيا محْوِ على لبنان .

لماذا ؟ اليك بعض الحقائق .

ان الرقعة الممتدة من العراق الى ليبيا ومن الأبيض المتوسط الى المحيط الهندي ، إما صفرٌ من المياه واما ذاتُ مياهٍ اجنبيةِ المنبع — إلَّا لبنان .

إنها جميعا — بما فيها فلسطين الاسرائيلية اليوم — واقِعَةٌ من الكُرة تحت الدرجة الخامسة والثلاثين من خطوط العرض . وهي ، في هذا العصر — بعد تقلُّص

الجليد قليلا الى الشمال، اي بعد تراجع البرد — الدرجة التي تحتها لا مدنية. وما غير لبنان يُمكنه أن يستعيض عن بعده عن القطب بارتفاعه عن سطح البحر.

لا ينابيع قوميَّة الا في لبنان، ولا مناخ موائم للتمدن الا في لبنـــان: إسرائيل، اذن، بحاجة الى جبلين: جبلِ صهيون تستلهمه المعنويات وجبل لبنان تستمدُّ منه الحياة.

حقيقةٌ لا نفقهها هنا كفاية، ولكنها في إسرائيل ألفباء الاقتصاد.

ويعرف العِلْمُ الاسرائيليُّ عن لبنان أكثر: يعرف أن سماءه تُمطر سبعين بالمئـة من مجموع امطار البلدان العربية. وإلى ان يتحكَّمَ العِلمُ بالمطر سيظلُّ لبنان وحده البلد الذي لا صَحراءَ في أَرضِه ولا صحراء في سمائه.

وتلك، عند لبنان وعند العرب، معلوماتُ حالمين. ولكنها في اسرائيل ارقام مهندسين. ارقامٌ تُترجَم الى شلالات وكهرباء. فاذا في مقدور ميـــاه لبنان، حسب تصميم نقاش ـ جميل، ان تمد كل فرد بخمسة آلاف كيلواط ساعة في السنة. كميّة تزيد الفي كيلواط عما للفرد في أسوج، اغنى مواطني العالم بالكهرباء. ولمّا كان تمدُّن الامم يُقاس بما تملك من طاقة، ينتج ان نهم اسرائيل — شعب المهندسين والخبراء — الى العشرة آلاف كيلو متر التي تدعى لبنان انما هو نهم لا يحـــد.

لو ان في لبنان نخبةً موطدة الاركان، لأقامت على طرقاتنا بارومتراً يُسجّل، كلّ يوم، ساعةً فساعة، درجة ارتفاع العدد من سكان اسرائيل.

الى سنواتٍ ، كانوا مئةَ الف — عُشْرَ لبنان يومئذ — بُعَيدَ الحرب ، أصبحوا فوق المليون ؛ ها هم ، اليوم ، نحوٌ من ضعفَي سكان لبنان !!

واذا استمرُّوا على هـذا التزايد انفجرت بهم الحدود . عندئذ ستهزأ ارقام الديموغرافية بقصاصات الضمانات الدولية . ولات ساعة مندم . وعندئذ قد يَفْقَهُ اللبنانيون مغزى آيةٍ من سفر زكريا يتغنون بها في اسرائيل : « افتح ابوابك يا لبنان وَلْتلتهمِ النارُ أَرزك » بَلى ، في ذلك اليوم قد لا يبقى امامنا ، نحن ، في هـذه الرقعة من الارض التي عَبَدْنا ، بعد الله ، إلا أن نَعمل — يائسين ! — ما عَمِلَهُ ابناؤنا في قرطاجه :

« راح الغضب ، يقول ب . غانيول ، يمدُّهم

ببسالة فوق الوصف . كانوا لا يزالون سبعمئة الف في المدينـة . اقفلوا الابواب ، ذبّحوا انصار الرومان ذبح النعاج ، حَوّلوا المعابد الى مصانـعَ للذخيرة ، ولَيلَ نهار شرعوا يصنعون السلاح والعتاد . قدّمت النسوة شعورهن حبـالاً ، هدّموا المساكن لصنع أسطول جديد ، سَلّحوا العبيد .

« وعندما اقترب القنصلان مع جيشهما من قرطاجة ، هُزما شَرَّ هزيمة ، على دفعات ثلاث . وهكذا حَـلَّ الشتاء ، مرتين ، وقرطاجة صامدة .

« وخافت رومة العاقبة ، فارسلت حفيدَ شبيون قاهرِ هنّيبعل . حاصر شبيون امليان المدينة . لـكن قرطاجة استمرت تحيا ، بواسطة المرفأ الذي لم يكن قد تجرّأ اسطولٌ على سدّه .

«حتى اذا جاذف شبيون امليان وبنى سدوداً فيه، وسط أعمال افتنّت، فيها البطولات القرطاجية، وحتى اذا تهدّم المرفـأ، ارتجلت قرطاجة نفقاً في الصخر وأطلعت منـه، كما بقوة السحر، أسطولاً جديداً، صُنِع في ايام وكاد يُجْهز على اسطول الرومان.

«وعَمِل الجوعُ عمَلَه الفاتكَ في المدينة. فاضْطُرَّ القرطاجيون الى أكْلِ احذيتهم مَغليّة، ولم يستسلموا. دُمِّر آخر جيش من جيوشهم، هو جيش اسدروبال، ولم تتزعزع لهم معنويات. وفَغَر شبيون سُوراً من الأسوار، ولكنه اضطُرَّ الى احتلال المسكن تلو المسكن، بل الطابق تلو الطابق، وقل: القلعة تلو القلعة.

«كانت النسوة يقاتلن بالسيوف، بالنبال،

بأدوات المنزل ، بالماء الحـــار ، بتدمير البيوت على المحتلين وعلى أنفسهن . »

اما النهاية فتكاد تُعَدّ في الاساطير ! لو لم يكن راويها وشاهدها ، بأمّ عينه ، المؤرخُ اليونانِيُّ پوليب مرافِقُ الحملة الرومانية وعَدُوٌّ قرطاجة .

إنهم تسعمئة بطـــل ، هم آخر من بقي حول ملِكتهم في القلعة ، يأبون الاستسلام ! فيُضرمون نارهم التقليدية ويقذفون بانفسهم ، الواحد تلو الآخر في شبه حفلة دينية حتّى اذا كادوا ينتهون ، تقدمت المَلِكة ، وقد ارتدت افخر أثوابها والحليّ (وكانت قد لفَظت خطبة حُفظت لنا بالحرف) وَرمَت بولديها الى النار ، ثم لحقت بهما ، وبقرطاجة العظيمة !!

بلى ، في ذلك اليوم ، قـــد لا يبقى لنا سوى

ما عمله اجدادُنا في صيدون ، عام ٣٥٠ ، يوم واجههم اكزرسيس الثالث بمئات الالوف ، فأحرَقُوا مدينتهم ، بقصورها والمساكن ، بشيوخها والنساء والاطفال ، لكي لا يبقى لهم — وهم يقاتلون — ما يلفتهم الى الوراء .

وجيوشنا ؟ تقولون .

الجيوش ؟ إنها ما وراء الجيوش .

قيمتها بنسبة ما تقدر ان تخرج من بلادها .

إبعث جيش فرنسة بكامله ، الى القتال خارج فرنسة ، تظلُّ النخبةُ في فرنسة دعامةَ أمنٍ وَوَحْدة .

أمَّا في الشرق ...

ان جيشنا نحن يَحمي لبنانَ من لبنان ، وجيشَ الرافدين يحمي العراقَ من العراق ، وجيشَ النيل

يحمي مِصْر من مصر .

يوم كان الجنديُّ اللبناني يَستبسِلُ في المالكيّة ، كان مجتمعُه خلفه يرقص على انغام الجاز ؛ ويوم كان زميله المصري يموت بطلاً في الفالوجة . كان مَلِكُه وراءه يعقد صفقة تجارية .

***

توقفنا عنـــد الصهيونية — وهي منذ انفجرت على تخومنا ، باتت تشكل ، كل يوم ، تحدياً لوجودنا من اساسه — لندلل ، بحقيقة ماثلة كالخنجر ، على ان المجتمع الشرقي هو مفتقر الى خُطَط نُخبة . نخبـــة تعمل بمستوى المصائر الكبرى ، والا انهار عند أوّل صدمة بحجم الصهيونية .

إنَّ المجتمع ، كمجتمع ، واحدٌ تقريباً . واحدٌ في

العالم كلّه . إن في انكلترا لصوصاً ، كما في لبنان ، كما في سلطنة لحج ؛ وكذلك منافقين ومتاجرين بالافيون وبالرقيق الابيض . اما ما يجعل المجتمعات تتباين ، بعضٌ الى أوج وبعض الى حضيض ، فهو ما يقوم فيها من نخبة ، حولها تستقطب او تتراخى القوى . فلا يُعَدُّ المجتمع اللبنانيُّ متأخراً لمجرّدان يقوم فيه متاجرون بالحشيش ، يساهمون في تدمير مصر ، بل يُعَدُّ متأخّراً ان كان لا يطلع نخبةً نافذة الكلمة ، تَغضب للعمل الاثيم وتَمنع حصولَه . ويُعَدُّ متأخراً أكثر إن بقي تُجّار الحشيش ، من آن الى آن ، يُصدّرون الى الحكم نماذجَ منهم .

لا ، ليس من الضروريِّ ان تتسلم النخبة باشخاصها الحكم . ولكنّ من المحي أن يتشرَّفَ

الحكمُ بالجلوس الى مائدة النخبة .

فعلى تلك المائدة ، وحدها ، يُنقذ الحكمُ نفسَه من نفسه ، يُنَقيّ جَوَّه من صغارة الزبأن ، يرتفع الى المناخات العُلى ، يَمُدُّ ذاتَه بنُبْل العِلْم وبالفِكَر الكبيرة ، يَعود غير متخوِّف من الاقدام على الجَلَل وعلى تخطيط التاريخ . والاقدامُ على الجلل وحده يخرس التذمُّر ، لانه يَجتَثُّ اسباب التذمُّر ؛ وتخطيطُ التاريخ وحده يهوّس ويَغمُر بالفرح ، لانـــه يرفع الأعين اللصيقة بالتراب الى ملاعب الشمس .

***

يمكن لَمُّ جميع ما قلناه بنقطتين :

الاولى : ان لا خلاص لنا من الاخطار التي بوزن اسرائيل الا بالنخبة .

الثانية : ان لا نخبة وطيدة الاركان في الشرق .

كيف تتكون النخبة ؟

ككل جسم حي ، تَتَّبع النخبة سننَ النشوء . فهي ، اولَّ ما تبدو ، خلايا قليلة في فراغ المجتمع . أرخبيلات في خضم . يؤلِّف الخليَّةَ الواحدة اثنان على الاقل من عِلْيَة المثقفين ذوي الخُلُق ، لا بما ان واحدهما عالي الثقافة ذو خلق ، بل بما انه ، على الاخص ، أبعد شيء عن الاثَرة والانكفاء على الذات ، أميلُ الى التعارف فالمشاركة في النشاط العام ، يزيد بهما نضجه ويُجرِّىء بادرَته على الصعب . اكتشاف الافراد بعضهم بعضاً ، والتلاقحُ الفكريّ والخُلُقي فيما بينهم أساسيان . وتنمو الخلايا وتتكاثر حتى لتقلّ المسافات المباعدة بينها وتنتظمُ في الخليّة الكبرى :

النخبة . يتمّ عمل التلاقي هـذا لا بمحض وعي ولا بمحض عفوية . فما هو احتشاد مُحزوزبين ولا تزاور ثرثارين . إنْ هو الا بعضٌ من نزوع الى لقاء خَيّر فيه تكشيفٌ للذات وفَرَحٌ خلاّق . ان الخليق بهذا التلاقي يَمُرُّ بمرحلة من وعي ذاته واستجابة نداء داخلي يشده الى السوى ، ثم بتماسٍّ بالسوى لا يكاد يحصل حتى يشعر بتبدُّلٍ اشبهَ ما يكون بولادة له جديدة . وتكون صداقةٌ أحلى الى قلبـه واسبغ على عَمَلِهِ من الحبّ العظيم . تنطوي على غبطة الحب وتترفع عن غيرته الآكلة وأنواء بحره المتقلب .

إن الشعر لم يغنِّ الصداقة كفافاً .

بهذا اقترف إثماً وخسر وتراً لا أعمق ولا أبهى .

وإنِ الصداقةُ الّا العاطفةُ الأوفر إلهاماً للمنتجين .

إنْ أُنمِيت وُسْعَها بين مختلف افراد النخبة ، مدَّتهم بحيويّة يروح صداها يرجُّ الى أمد غير قصير. تشهد جدوى عرى شَدَّت بريكليس الى نخبة من المهندسين والنحاتين ، فكان من نتيجتها بقاء رقعة من اربعة كيلومترات من الأرض عَاصِمَةَ إلهامٍ الى الأبد . وتشهد طِيبَةُ أَلَّفت بين قلبي غوته وشلر فكان منها قَلَمانِ قلَّما أطلع الأَدَبُ أطرَفَ منهما وأعمق ، او أبقى على الدهر .

وَعْيُ الذات واستجابَةُ النداء الداخلي هما من عمر النخبة عَهْدُ اليفاع . والصداقة عهدُ الشباب ، بما فيه من طموح خيِّر بارىء. وفي عهد الرجولة تحتاج النخبة الى ما يتعهدها باحترام. إبان الشَباب هي في غنىً عن أي مَدَد . انها لتكفي نفسها بنفسها . اندفاعاً حتى الطرب ولذةً حتى الخدر . أمَّا في أثناء الرجولة فويل

لمؤسسات تجنح عن الحدْب على النخبة وويلٌ لحكم ينفّرها . تلك تنطوي على نفسها فلا تلبث ان تيبس حتّى لتغدو مُتحفَ مومياءات ؛ وهذا ، وقد انقطع عن التماس بمثلي انتصارات التمدن والملتفتات الى الغد الافيح ، يصبح حُكْماً شيخاً والدنيا شباب بعند ، فيتنكّر له الناس بل يتنكر هو لنفسه ويضطر ، إبقاءً على حياته ، إلى وقف عمله على الاهتمام بنفسه . حمار ناعورة هزل حتى لم يعد يطلع إلا ما ينقع عطشه .

عَددٌ من حكومات الشرق وصل إلى هذه الحالة . فاذا الدكتاتوريات ، على بشاعتها ، المنفذ الوحيد .

بَدَتْ مصر دون مستوى جيشها في يوم فلسطين ، لانها لم ترفع الى الحُكم والى بطانة العرش ، مدة ربع قرن ، إلّا محترفي السياسة . فبات آخر ملوكها ،

يوم يزور فرنسا ، واحةِ التمدُّن ، تتناقل الدنيا أخبارَه مقاماً ، ولا تنوِّه مرة واحدة بانه زار عالِماً . وظهر لبنان صغيراً خلف جيشه لان حكومته بقيت ، في نحو خمس عشرة سنة ، في شبه عداء مع مثقَّفيه . فاذا يموت ابو الموسيقى فيه يموت عن راتبٍ يكاد لا يزيد عن راتب حاجب .

هذه الاستشهادات لم يُقصد بها الطعنُ على النُظُم في الشرق بقدر ما قصد بها التوكيد على تغيّب النخبة . فالنخبة وحدها تستطيع ان تؤمِّن لا تبادُلَ الحُرمة بين افرادها وحسب ، بل تبادلها كذلك بينهم وبين سائر مؤسسات المجتمع ، ومنها الحُكم . وشعور النخبة بحرمتها هو كُلُّ حيويتها ، جماع عنفوانها ، هو السياج الذي يصون العالِم من إغراء المال يُلوِّح به أصحابُ

الاعمال الكبيرة ، منزلينه من طلاقة البحث العلمي الى محدودية العمل التكنولوجي . ذاك يُقدِّم له لذَّة الكشف للكشف ورضى الله والضمير ، وهذا يُغرقه بالرفاه والثروة ، صَنَمَي العصر اللذين اقتحما على البيوت صدارتَها وعلى القلوب حرارةَ خفقانها . أولا يخالج العالمَ ، بدايةُ قنوط كلَّما رأى زوجةَ صاحب الحانوت تقتني في دارتها أحدث الرياش وأدوات الرفاه وتودع المصارف ثروة ، بينما تخنق زوجُه في صدرها شبه غصَّة ؟ لا ، وَوَحَدَهُ شعور النخبة بانها النخبة وكفى يصون العلمَ من الاستخدام في المصنع ، والشِعْرَ من التكسُّب ، والفلسفة من كتابة المقالة اليومية ، والبحث من التعيش في بيتٍ غنيّ ، والتدريسَ من الالتحاق بالوظيفة ، والقضاء من الانتساب الى مستشارية الشركات .

وبصدد هالة النخبة يمكن الالماع الى ما ينبغي أن تخصّ به نفسها من ترفيه خليق بهـا . فالعمل العقلي المرهق يلزمه استرخاء موائم ، يعود العقلُ على اثره الى مجهود جديد . فان لم تَمنح النخبةُ نفسَها هذه النزهة الرحيمة ، ان لم تـكن لهـا أنديتها المتنفسة بالرفعة ، اضطُّر أفرادها الى انتجاع الراحة في ملاهي الطبقات الأُخر حيث الأَثَرُ مزدوج الاساءة : يُبَدِّد جوَّ النبل ويزعزع ثقة العلية بعليتها .

ولعل تاج اعمال النخبة ، لتتوطد ويبلغ عَمَلُها حد العراقة ، أن تتنادى بين فترة واخرى الى التمرُّس بعملٍ ضخم ، يجيء في مستوى القضاء والقدر .

ان بعض انتدابات الى الجلل قامت بها النخبة ، في بعض عهود التاريخ ، أوجد صيدون وآثينة وقرطاجة

وروما وفلورنسة وباريس : الاولى فاتحةَ عالَمٍ ومصدّرة عقلٍ وذوق ، حتى لتأخذ الدنيا عن نظامها الدموقراطي ، ويقصدها فيثاغورس يُحَصِّل فيها ، و بناتُ الملوك والسراة يروين فيها غلة الاناقة والجمال ؛ والثانيةَ حاضرةَ فكرٍ وفنّ تلهمهما الناس إلى الأبد ، حتى لتتعبَّدُ الدنيا لبضعةٍ من الاصول هي المحارة التي ضمنها تضطرب آلة العقل ؛ والثالثةَ أكبرَ ورشةٍ لصناعة البطولة ، بدأت بملكةٍ أحرقت نفسَها ثباتاً على فكرة وانتهت بملكة أحرقت نفسها ثباتاً على فكرة ، حتى لقد أسَّسَ الانسان بين تينك البادرتين أطول الامبراطوريات عمراً : عَمَر عالَماً ناشراً نشاطه الخلاَّق على جميع البحار ، مُوجداً في الاقتصاد عدالة لا يزالون حتى اليوم يتشوَّفون الى مثلها ، تاركاً في الشجاعة سَجِلاً لسلسلةٍ من المعارك تتلمذ لها قيصر

ونابوليون وبقيت ، الى أمس ، آخر ما قيل في فن ملاعبة الموت ؛ والرابعةَ أعمقَ مدرسة للعنف مع الذات ، حتى لقد مدَّها قهرُها لنفسها بما يلزمها من قوة لقهر الدنيا ، فشدّتها بقرنيها في حقبة من عمر الزمن ، وربطتها الى عجلتها ، وما زال قانونها ، الى اليوم ، اوثق ما يشد البشر إلى الحق ؛ والخامسَةَ أشرَفَ حِلْفٍ عُقد في التاريخ بين رجال مال ورجال فنّ ، حتى لقد أطلع من التحف في التصوير والنحت والعمارة ما يُقدَّر بنصف ثروة الجمال في الأرض ، وحتى لتروح أمة بأسرها تعيش على دخلها من حجّ الناس له ، على أنّه تاج قارة طَمِعت بان تكون ملِكة القارات ؛ والسادِسَةَ حَكَمَ ذوق وعقل في الألف السنة التي حولنا ، حتى لعلى ما تنطق به يحيا أو يموت نتاج العباقرة ، وحتى لتشكّل دون

سواها من مُدُنِ الأَرض الوطنَ الثاني لـكُلّ رجلِ فكر .
هذا ، والنخبة على الجملة مناخ .

فاذا لم يشعر المجتمع ، جميعاً ، من لاهوتيِّـهِ إلى الجاهل ، من القصر إلى الحانة ، إذا لم يفرض وجودُها هذا الشعور ، بان هناك ، في قمة هذا المجتمع ولـكن على مقربة من قلبه ، طَبقةً تتنفس تنفساً بالشؤون العليـا : كثافة الوجود ، ترف الوجود ، سُمُوّ الوجود ، فقـل آنئذ : ان ذاك المجتمع شَبَحٌ أو دُوَلٌ بوليسية تُحكَمَ بالسوط ، رقعة أَرض من فقر وبداوة في لباس متمدنين معرّضة بين يوم وآخر للوقوع في أَيدي شرذمة من الطُّمَّاع او تُجَّـارِ النفوذ أو ما هو أوجع : مستعمرو الغرب .

***

ونابوليون وبقيت ، الى أمس ، آخر ما قيل في فن ملاعبة الموت ؛ والرابعةَ أعمقَ مدرسة للعنف مع الذات ، حتى لقد مدَّها قهرُها لنفسها بما يلزمها من قوة لقهر الدنيا ، فشدّتها بقرنيها في حقبة من عمر الزمن ، وربطتها الى عجلتها ، وما زال قانونها ، الى اليوم ، اوثق ما يشد البشر إلى الحق ؛ والخامسَةَ أشرفَ حِلْفٍ عُقد في التاريخ بين رجال مال ورجال فنّ ، حتى لقد أطلع من التحف في التصوير والنحت والعمارة ما يُقدَّر بنصف ثروة الجمال في الأرض ، وحتى لتروح أمة بأسرها تعيش على دخلها من حجّ الناس له ، على أنَّه تاج قارة طَمِعت بان تكون ملِكة القارات ؛ والسادِسَةَ حَكَمَ ذوق وعقل في الألف السنة التي حولنا ، حتى لعلى ما تنطق به يحيا أو يموت نتاج العباقرة ، وحتى لتشكّل دون

سواها من مُدُنِ الأَرض الوطنَ الثاني لـكُلّ رجلِ فكر .
هذا ، والنخبة على الجملة مناخ .

فاذا لم يشعر المجتمع ، جميعاً ، من لاهوتيِّـهِ إلى الجاهل ، من القصر إلى الحانة ، إذا لم يفرض وجودُها هذا الشعور ، بان هناك ، في قمة هذا المجتمع ولـكن على مقربة من قلبه ، طَبقةً تتنفس تنفساً بالشؤون العليـا : كثافة الوجود ، ترف الوجود ، سُمُوّ الوجود ، فقـل آنئذ : ان ذاك المجتمع شَبَحٌ أو دُوَلٌ بوليسية تُحكَمَ بالسوط ، رقعة أَرض من فقر وبداوة في لباس متمدنين معرّضة بين يوم وآخر للوقوع في أَيدي شرذمة من الطُّمَّاع او تُجَّـارِ النفوذ أو ما هو أوجع : مستعمرو الغرب .

***

بعد هذه المحاولات المقتضبة في فقه النخبة وسنن تكونها ، نورد طائفةً من معضلات الشرق المعاصر التي ستتحدى أكيداً نخبة الغد :

أولا : معضلة تكوين النخبة لنفسها .

انها باب الأبواب . أول ما يتوجب عليها عمله هو من النخبة كالمنهج من الفلسفة . فان لم يتوصل أفرادٌ غير عاديين الى الانتظام في شبه حركة تتعهد الشؤون العليا ، فعبثاً نتكلم عن نخبة وعن معضلات عظمى ستتصدَّى لها .

ثانياً : معضلة اعادة الثقة بالعقل البشري .

إن الشرق المعاصر هو ، من جهة ، غير جاهل ، ومن جهة أُخرى ، غير كافٍ عِلمُه . وهذا القدر من النور بين يديه يوقفه ، كل يوم ، على تناقض ظاهري في عمل نُظُم الفِكر والمجتمع وتدبُّر مستقبل الأرض ،

فيخلص إلى ان البشرية ، بعد ثلاثة آلاف سنة من إعمال العقل ، لم تتوصل إلى حل مسائلها . وإنما تُعقِّدها زيادة ، كل ربع قرن ، بمجزرة عالمية . ومن هنا أزمة الشرق المعاصر مع العقل : شَكُّه بالعقل وبقدرة العقل على تَعَهُّد المصير البشري . أزمةٌ ، ان استمرَّت في الضمير الحديث ، اعاقت دخول التمدن إلى الشرق . لاننا ما لم نَسْتَعِد الثقة بالعقل ، آلة الحقيقة وتقبُّل الوحي ، فسنظل مضربين عن استعمالها على الوجه الاكمل ، مكتفين في مواجهة مصاعبنا باللجوء إلى « روشتات » من الخبرة البراغماتية تفضي بالفرد حتماً الى تطبيق شريعة الشُكّاك : « إن لم تكن ذئباً . . »

ثالثاً : معضلة استعادة الكرامة البشرية .

إن قلَّة التعمق بالفكر ، عند طبقة المثقفين

العاديين، أوقفتهم من المعرفة عند استنتاجات قشورية من علم الانتربولوجية . فراحوا يرددون ان الانسان حيوان او ضريب حيوان . والهالة التي حوله انما اصطنعتها المعتقدات وان أيَّ فرد مثل أيِّ فرد . وهكذا باتوا في موقف من يحذف كلَّ ما بناه الانسان، في الثلاثة آلاف سنة الاخيرة، في باب تحقيق ذاته . موقفٌ بسببه قد يلتقون على صعيد واحد ورجلَ العصابة الذي يقيس الانسان بقدرته على تشغيل المسدّس . ومن هنا موجة اللامبالاة التي تغمر مجتمعنا، من الاساس الى القمة، فتجعله يَقْتُل في عدم تحرُّج، يدهس معنويات باتّهام جزاف، يُحطِّم مستقبلاً بحكم يصدره بخفة، يُرغم نابغةً على الاستقالة لمجرد احتياجه الى منصبه، يُدمّر شهرة للذة إعمال الحسد الكامن

فيه . أعراضٌ كلُّها أعراض لتقلص كرامة الانسان في المجتمع الشرقي ، أيًا كانت الدرجات : من الحاكم الى القاضي إلى المتشرد .

رابعاً : معضلة التوفيق بين ضرورة الاكل من خبز الهيكل وواجب الحفاظ على خبز الهيكل .

معضلة تُرقى في الشرق الى عهد داود . خلاصتها أنَّ الحاكِمَ او أيَّ متسلم عملٍ عام مفروضٌ فيه ، من جهة ، ان يعيش من مال المنصب ، ومن جهة اخرى ، ان يتعهد الانفاق على التزامات ذلك المنصب باشدّ وَفْر ممكن . فكيف لا يقع في تجربة من اتخاذ القرارات التي توائم — عن بعد او قرب — مَصالِحَهُ الخاصة ؟ نصفُ الشلل في الآلة الحاكمة عندنا ناجِمٌ عن هذه المعضلة . فبأيّ دُربة عبقريةٍ ستتوصل النخبة

غـــداً الى تربية طبقة من الحكام ورجال المناصب والاعمال ، تمدُّ بهم الدولةَ ومختلف مؤسسات المجتمع ، ويكونون بشراً فوق البشر ، حتى إذا اصطدمت الخدمةُ والجيب آثروا مجدَ الخدمة على ورَم الجيب ؟

ولهـــذه المعضلة أثرها المباشر في جدوى حربنا العتيدة مع الصهيونية . فإلى اي حَدٍّ سيكون ساستنا غداً — والمفروض انهم يُعدّون لحرب الخلاص — مُدَرّعين ضد المال ؟ أمن المستبعد ان تُنزل اسرائيلُ الى الساحة جيشاً من الدولارات ؟ لَكم ينبغي أن يكون داودُنا مَتينَ الخُلُق ، لكي يفضّل الجوع ، يومئذ ، على أكل خبز الهيكل ؟

خامساً : معضلة النزاع بين الله وقيصر

معضلة ذرَّ قرنُها في لبنان منذ تقدمت نقابـــة

المحامين بمشروع قانون لشؤون يعتبرها رجال الدين من ضمن سلطتهم، ويعدّها التشريع الحديث جزءاً من شموله. اية روح عبقرية يجب ان تُلهم النخبة غداً لتُطلع بين ممثلي الله بولساً جديدا يعرف « ان الحرف يقتل » وبين مُمثّلي قيصر من يقترح قانوناً مطلق الجرأة — لا مُتَمَلْمِلَهَا وحسب — حتى تكون هذه الجرأة على الجميع وسيلة الصمود والاقناع والظفر ؟

سادساً : معضلة التوفيق بين المواطنيتين الهادرتين في ضمير الانسان الحديث: مواطنية الأمة ومواطنية العالم.

إذن لا تبقى الاولى أَثَرَةً وتطلُّبَ عيشٍ عن طريق غزو الغير، وبالتالي اعتبار البغضاء اساس بقاء، ولا تستمرّ الثانية تهرباً من التزامات الانسان نحو الأقربين وذوبانا في كلاميَّة تُدمّر الثقة بما يرتسم على الافق

من وَحدة العالم .

ولهذا النضال شكلٌ آخر حاد في الضمير الشرقي ، عند جماعـــة المُواطنية الاولى . فهم يَتَّخذون أشبار الارض أساساً لقياس وطنهم ، فتطالب فئةٌ منهم بتكبير من هذا النوع وتردُّ فئـة أُخرى بتكبير يطغى على تكبيرهم ، حتى لتستمران تضيِّعان على الشرق فرصة الجهر عالياً بان نصف مشاكله ناجم عن كونه اهتم ، منذ فجر النهضة السياسية ، للضمّ اكثر منه للتكثيف ، لتوحيد الاقاليم اكثر منه للتمدين . ففاته الاثنان

سابعاً : معضلة إحلال العلم محل الحسّ العام

باستثناء القلائل من عُشَراء نظريات ريمن واينشتين والمقارناتِ بين نواميس الكون الصغير والكون الكبير ، نجد سواد المثقفين في الشرق ما زالوا يَركزون

محكّ العِلم على الحسّ العام — منطقِ جميع الناس، عدا القادة الخلاقين — غير مُدركين انّه قد ثبت، عقب انتصارات العلم الحديث، أن الحِسّ العام اكبر أعداء العلم، وأن تقدّم الخمسين السنة الاخيرة لم يتمّ لولا تجرّؤ العباقرة على ذاك الصنم، في دُربة جديدة هي أجمل ما خضّ حلقاتِ المنهج منذ نيوتن، وأن من القواعد الحديثة أن يشكّ العالِمُ — برُغمٍ من ديكارت، ولعلّها تتمة لروح ديكارت — بكل حقيقة تبدو بديهية أو تنطبق على منطق العامة. لا على انها دائماً خطأ، بل على انها غالباً خطأ. مهمّة بين أدق واجرأ ما ستضطلِع به النخبة، وإلّا بقيت الشقةُ وسيعةً في الشرق لا بين الجاهل والعالِم وحسب، بل بين المثقف والعالِم كذلك.

ثامناً : معضلتا الأخذ بلغة الحياة واعتماد تدوين علمي .

إنهما بين اوجع ما سيحزّ في قلب النخبة ، اذ محضُ اثارة الموضوع معضلة . بالنظر لما فيه من ملابسات مع العاطفة والولاء القومي . ومع هذا فلا بد من العمل . وإلا خانت النخبة شرقها العظيم في تغيّبها عن فرض الحلول التي سبقتنا اليها اوروبة .

ان قضيّتي اللغة والحرف منفصلٌ إحداهما عن الأُخرى . وكُلٌّ من حلّيهما يُغضب العاطفيين . فهو كالعملية الجراحية لا يشفي الا اذا أدمى .

معضلة اللغة عرضت وستعرض لجميع الشعوب المتمدنة ، لأنَّ اللغة ، بطبيعتها ، تخلق لنفسها هذه المعضلة كل نحو من الف عام . اما مبدأ الحل فقد استُخرج من الحياة : **اللغة هي ما في الفم لا ما في الكتاب .**

ولو ان رقعة العالم الغربي، على سعتها، من اسكوتلاندة إلى صقلّية، مضافاً إليها رومانية، بقيت مسايرة عاطفيَّة الشعب وما تتوهمه من وحـــدة لغوية تربط بين أجزائه، لما كانت إيطالية وفرنسة وانكلترة والمانية اليوم زعيمات العقل الغربي، ولما أطلعن عباقرة الشعر والفلسفة.

أما معضلة التدوين فقد عرضت وستعرض لجميع الشعوب التي لا حروف محرَّكة في نظامها التدويني. كالشعوب الساميّة جميعاً. وما حَلُّ مصطفى كمال بالحل الناجح، لمجرد انه لاتيني، ولكنه أحد الحلول الموفقة لان الحرف الذي انتقاه ينطوي، خاصة، على الحروف المحرَّكة. وإن لم يلجأ الشرق إلى أبجدية مماثلة بقيت الاميةُّ آفة جماهيره إلى الأبد. إذ الطريقة التي ندوِّن

بها لغتنا مبدأها « تثقف فتقرأ » لا « اقرأ فتثقف » .

معضلتان على حلّهما في الشرق يتوقف إيجاد المؤسسة التي هي حُقّ جميع المؤسسات . وما بقي الحقُ خَرِباً فعبثاً نفكّر باقتناء العطور .

لا نهضة لنا وللعرب ما لم نحلّ معضلتي اللغة والتدوين.

بين العلم والعاطفة ستنشب حرب . وستكون مستعرة . وما كان منها ليس شيئاً بالنسبة الى ما سيكون . كل ما عندي ان اقف شجاعا في جانب الحقيقة . ليس الشرق عظيما لانه الشرق ، انه عظيم بقدر ما سيكون ابن الحقيقة .

تاسعاً : معضلة تعهد المعرفة الشعبية .

ان ايجاد التفاهم الدائم بين العامة والخاصة لا يتمّ بحال من الاحوال بانزال هذه الى مستوى تلك ، بل

برفع تلك الى مستوى هذه . ان الدلعة الديمقراطية في العصر عوّدت العامـــة شيئاً خطِرا . خَطِراً حتى عليها . هو أن تسايرهم الخاصةُ وتجاري ما يظنّون انه مصلحتهم وأمانيهم . ان العامة لا تعرف خلاصها ، الا اذا أُبقيت على اتصال دائم بخلاصة اكتشافات الخاصة . لا ما يطبقه الصناعيون تكنولوجيًا من اكتشافات الخاصة ، بل ما تبحثه الخاصة نفسها في دوائرها العليا من نواميس . نعم ليس بامكان العامة ان تفقه النواميس . ولكن بامكانها ان تطلع على روح النواميس . بامكانها ان تدرك اتجاهها ، بامكانها ان تعيش في مناخها الرفيع .

ولو عجزت النخبة غداً عن تقليل سعة الهوة بين الخاصة والعامة ، لجاءت النتيجة راعبة : استمر الحكم في تدهور ، لأن الحكم بطبيعته متأثّرٌ بالعامة ، ان لم

نقل منبثق عنها ؛ وأُجبر ، عندما يستيقظ الى الدرك الذي يكون قد سقط فيه ، على التبدل حُكْماً فردياً ؛ واصبح الجفاء بين العلماء والشعب طلاقا ؛ وتوقف النتاج العلمي ، لان النتاج العلمي منوط لا بفهم العامة له بل بحنوّ العامة عليه ؛ واضطُرّ رجالُ المعرفة إلى العمل من ضمن مصلحة واحدة : مصلحةِ المأكل والملبس والمسكن ، كانما مشكلة المأكل والملبس والمسكن ، هي نفسها ، تُحَـلُّ بمحض معطياتها لا من ضمن البحوث العلمية العليا .

عاشرا : معضلة القدرة على الطموح

إن الشرق المُعاصر مزيجٌ من مقوّمات أربع : ماضٍ جَلل ، ورقعة أرض معظمها صحراء ، وطول عهد بالتغيّب عن التمدّن والتمدين ، وانصعاقٍ بغرب بلغ

من القوّة ، معنىً ومادة ، حداً يجعل الفارق كبيراً بينه وبين سواه .

فإذا استثنينا النقطة الأولى وجدنا ان كل شيء في مقوّماتنا يثبّط العزائم .

ولقد عقّد هذه الحالةَ وزاد المصيرَ ادلهماماً أن تخلّصنا من الاستعمار استند ، إلى حَدّ بعيد ، على الكزينوفوبية ، اكثر منه على وعي ضرورة الحرّية . فإذا ابطال الاستقلالات عندنا — باستثناء النادر منهم — كارهو غرب لا طالبو حق . وإذا أمكن بعضَ بلداننا ان يتحرر من الاستعمار ، لم يعدّها « الأبطال » مرحلة صغيرة من مراحل المُضيّ قُدُماً في أنسنة الإنسان المشرقي ، بل زادهم النصرُ الذي تحقّق ثقةً بقيمة الكُره للغرب — كأنما الكره يصلح ان يكون مذهباً سياسياً —

فتناهوا في تغذيتِهِ ، مهوّلين — دعماً لرأيهم — بخطر عودة الاستعمار بألف شكل غير الشكل المسلَّح .

ولتصرّفهم هذا سببان :

الأول : ان عشق الحرّية عندهم لم يكن نتيجة درجة من الوعي متقدّمة تجعلك تدرك ان الحرّية والوجود البشري صنوان .

الثاني ان الكره عاطفة ديمقراطية — إذا جاز التعبير — يمكن بثّها على أهون سبيل في مجموعة الشعب ، وبالتالي تحريكُها ساعة تستدعي ذلك شهوةُ الحكم عند عبّاد الحكم ؛ بينما الحبُّ والبناء عاطفتان صعبتان ، لا تنميان إلاَّ في نفوس النخبة ، تلك المتينة الخلق ، القادرة على الترفع ، العارفة ان لا دخول إلاَّ « من الباب الضيّق » . وهذه بطبيعتها قلّة . ولأنها قلّة ،

ولأنه يستحيل «استزلامها»، يؤثر عبّادُ الحكم عدمَ التعاون معها.

وهكذا أبقى محترفو السياسة على شبح الاستعمار، بعد ذهاب الاستعمار، وسيلةً سهلة تضمن بقاءهم هم.

واستمر شرقنا، في اجزائه المتحرِّرة، يجترّ وضعاً كان قد انقضى. وبَدْلَ ان ننتقل إلى مناخ البناء بقينا في روحية الخوف.

هذه الحالة مضافةً إلى ذلك المزيج الفقري الذي يكوّن مقوّمات الشرق الأربع، بعثت في سواد الشرقيين ما هو أفتك من الجمود بعثت فيهم المحدوديّة.

فالجمود، متى يستيقظ إلى هوله الواعون، يصبح، بين ليلة واخرى، عاملَ ثورة أمّا المحدوديّة فذكاء رخيص يجعلك تتطلّب ولكن تطلبَ المتذمّر، يريد

العيش لا مجد العيش . فيفوته حتى العيش .

لعلَّ أفتك ما يضعف الشرق اليوم إدّعاء جبناء المأمل بانهم هم الواقعيون ، وتعريضُهم بذوي الطموح الضخم .

لَكَم نحن في حاجة إلى من يحلمون الحُلم الكبير !

آفة الشرق اليوم أنَّه قليل الطموح .

ومن هنا انه يسهِّل مجيء الخاملين الى الحكم . فهم خير من يمثّل تذمّره ومسكنته وحوائجه الصغيرة . خامِلٌ يحكم خاملا .

لن يوفّر للشرق حتّى أقلَّ متطلباته إلا من سينتدبه إلى المتطلبات الكبيرة .

سيكون الشعار : ليتقدّم الصفوفَ من يقدر على

الطموح .

يتحدّى النخبةَ غداً معضلةُ تحطيم الاصنام لتحلّ محلها الآلهة .

حادي عشر : معضلة العودة الى الله والى عدم عدمية الانسان .

مُهِمَّةٌ أشرف ما سيواجه النخبة على الاطلاق ففي جزئها الاول ، إعادة النظر في جميع ما كُتب وبُني ونُحت وصُوّر وأُنشد وغُنّي وبُحث وحُلّل واكتُشف ورُكع وصُلّي وعُبد على اسم الله . وفي جزئها الثاني ، مواجهةٌ جديدة عصرية لأقلق سؤال يطرحه الانسان : أأنا محدود البقاء ام انا باقٍ الى الابد ؟ اصحيح انني ، انا الذي أنرت جانبا كبيراً من ظلمات الوجود ، بعقلي الكاشف المبدع ، أنا الذي أطلعت روائع الفكر والموسيقى والعمارة ، انا الذي

نظَّمت آلة العقل العجيبة حتى لقد باتت تُقدّم لي ما لم تكن هي نفسها تحلم به ، أنا الذي جَسَسْتُ انظمة الكواكب ، رزتُها ، دخلت الى قلع الذرّات ، صافحت سكّانها ، خَربتها ، أعَدْتُ تكوينها من جديد ، انا ، انا نفسي ، سيفرغ مني هذا الكون ، وهو انما بات نصفه من صنع يَديّ ؟ اصحيح انـــه بِوَحداتٍ من السنين (ستين ، سبعين ، مئةٍ على الاكثر) يُقاس عُمري ، أمّا عُمر سائر الاشياء الميتة الحقيرة فيقاس بالملايين ؟ ما قيمة الأرض ، هذا الكوكب الصغير ، الذي تستغلُّه يدي كُلَّ يوم ، ويلعب به عقلي ساعة يشاء ؟ ما عظمتُه بالنسبة إلى عظمتي ، حتى يعيش ، هو ، إلى شبه الأبد وأزول انا بعد دورات للشمس معدودات ؟

لا لا إنَّ سِرًّا خطيراً لا يزال ينتظر أن أفضحه، ودُرَباً في البحث غير التي أستعملها الآن تنتظر كشفي. انني في التنقيب عن الحقائق اعتمد طُرُقاً إنْ هي — ساعة لا تكون حواسّي الخمس — الا امتدادات لحواسّي الخمس. وما قيمة حواسّ وامتدادات حواسّ عجزت حتى عن تشعيري بدوران الارض تحتي، مع ان دوران الارض حقيقة يقرُّها الطفل ؟

إذن قد يكون بقائي او عدَمُهُ أهولَ من ان يكشفه شمٌّ ولمس، بركارٌ ومسطرة، تجربةٌ في مُختبر ومعادلةٌ لاينشتين.

وإذا كانت الأديان لم تعطِني عنه براهين من النوع الذي أطلب، فان هناك استطلاعاتٍ أُخرى في مستوى العجب يجب ان أقوم بها في صدد موضوع

المواضيع هذا . ولا بد اني سأخرج ، غداً ، من ذلك العمل الضخم ، الذي انتدب اليه نفسي ، وقد باتت بشريَّتي أكثف : قلبي أبصر بمطارح الظلمات وعقلي أكثر استيعاباً لنار الوجود .

إن ما حققتُه على الأرض أعظم ، بما لا يحد ، مما حقَّقتْه الأرض ، فلا يعقل ان تكون طبيعتها أجودَ من طبيعتي ولا اكثرَ أهليةً للبقاء .

بلى بلى كما اني فقيرٌ إلى حاسَّة أُخرى للتمكن من الشعور بدوران الأرض تحتي ، فاني ولا بد فقيرٌ إلى عقلٍ آخر للتمكن من اليقين بأنني باقٍ إلى الأبد .

وعندئذ — متى أدركتُ اني إلى هذا الحدّ عظيم — أفلا يخطر لي ان أتساءل : هذان الشيئان البيّنا الجبروت « انا » الباقي إلى الأبد و « اللانهاية » التي تحيط بي ،

أكيد انهما ليسا من صنع يدي، أفلا يلزم ان يكون هناك — لِيُبدع اللانهاية ويبدعني — مَن هو أعظم من اللانهاية وأبقى من البقاء ؟

يا له موضوعَ بحثٍ ينتظر النخبـــة ، يكاد مجرد التصدّي له يدفعها قليلاً جهة الألوهـــة . لانه أعظم موضوع ، في أعظَمِ اطار ، يشغَـل أعظمَ العقول .

تمّ طبعها على **مطابع دار الكشاف**
في الخامس عشر من نيسان
سنة اربع وخمسين وتسعمائة والف

A.U.B. LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00479923